كلمة معالي المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) الأستاذ الدكتور عبد اللّه حمد محارب في الجلسة الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيدات والسادة

نجتمع اليوم لنناقش مستقبل اللسان العربي في ظل واقع عالمي سماته الجلية البينة هي الارتباك والتخبط، والسعي إلى تمييع الهويات الثقافية للأمم المغلوبة سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا. وليس ذلك فحسب، بل نحن في واقع يفرض فيه الغربُ (الغالبُ) علينا جزيات حضارية وثقافية، تدفعنا دفعًا إلى الانهماك في الدفاع عن ماضينا والذهول عن مستقبلنا. لذلك اسمحوا لي أن أشكر القائمين على هذا المؤتمر لاختيارهم محاور هي في قلب ما نمرّ به من أزمة ثقافية من حيث أهميتها وإلحاحها. فقد طرحوا علينا مفاهيم نحن في وطننا العربي في أمس الحاجة لاستبيانها وفض ما استغلق منها وتطبيقها على واقعنا، وهي : مجتمع المعرفة، صيانة الهوية، وبناء المستقبل.

إن مجتمع المعرفة الذي نسعى إليه ليس مجتمع المعلومات، بل هو المجتمع الذي يقف على هذه المعلومات والبيانات ويخلص منها إلى معرفةٍ تمكّنه من الارتقاء بوضع مجتمعاتنا العربية. ففي عالم يمور بشتى صنوف المعلومات

الصحيحة والزائفة، الدقيقة والمدلَّسة، تطفر الحاجة إلى صياغة نظام فكري عام يجمع هذا الشعث وينظمه في إطار منضبط. ولعل أكثر ما يعوزنا عندما نتحدث عن **اللغة العربية** هو هذا النظام الجامع الحاكم الذي يستطيع أن يُشخِّص أزمتنا اللغوية تشخيصًا كليًا، ينأى عن موارد الزلل المتمثلة في رأيي في الانهماك في الجزئيات، وغلبة العاطفة على التدبر والتخطيط الفعال. فعلى سبيل المثال، هل هناك من قام بمسحٍ وَقَفَ فيه على عدد المخطوطات غير المنشورة المتعلقة بعلوم اللغة العربية المخبوءة في مكتبات العالم شرقًا وغربًا؟ هل ثمة دراسة تدلنا على موضوعات النحو وغيرها التي لم تدرس بما تستأهله من درس؟ هل ثمة إحصاءات حقيقية واقعية قامت بها الدول من أجل التعرف على واقع اللغة العربية المأزوم ؟ وما هي الدول التي جعلت من قضيةاللغة العربية وما تمر به من أزمة شاغلاً يشغلها وهمًّا تهتم به ؟ هل ثمة استقراء للجهود التي تقوم بها المجامع اللغوية، والجهات التشريعية، والمراكز البحثية، والمؤتمرات (وما تخرج به من توصيات)، ومنظمات المجتمع المدني المهتمة بقضايا اللغة العربية، وتقييم لأثر تلك الجهود في الارتقاء بمستوى اللغة العربية في مجتمعاتنا العربية ؟!

وإذا كان النقد هو مَلقى السبيل الذي تجتمع عنده روافد المعرفة الرصينة، وَجَبَ علينا أن نبدأ بنقد أنفسنا أولاً. لقد اجتهدت الألكسو منذ نشأتها الأولى من أجل النهوض باللغة العربية، ولكنه، دون مواربة أو مداراة، جهد المُقلّ. فقد كان من الممكن أن يكون إسهامها أكبر من ذلك، وأوقع في نفس المواطن العربي وعقله ورؤيته لثقافته ولغته، إلا أن ثمة حوائل كثيرة حالت دون ذلك، أخطرها، في ظني، غياب النيات الصادقة، واتخاذ الكلام عن لغتنا وهويتنا وثقافتنا تكأة لأغراض أخرى تبتغي ما تبتغيه من غايات سياسية وحزبية أو دعائية. فما كان من جهود الألكسو إلا أن اقتصرت على إقامة الورش والمؤتمرات، ونشر الكتب الاسترشادية عن اللغة العربية وكيفية تعليمها، وترسيخ ممارستها في التعليم المدرسي، فضلًا عن التعريب ونشر معاجم

المصطلحات الموحدة، وغيرها من الإنجازات المحمودة. ولكن .. يبقى ما يبقى في النفس من تساؤلات عن ثمار هذه الجهود وجدواها. فعلى سبيل المثال، لماذا، وعلى الرغم من بذل كلِ هذه الجهود من جانب الألكسو ومن جانب بعض حكومات الدول العربية، ينحسر استخدامُ اللغةِ العربية الراقية في العالم العربي يومًا بعد يوم .. لماذا تترسخ أقدام اللهجات العامية المحلية كل يوم في بلداننا العربية على حساب اللغة الأم الجامعة، ولماذا اكتسبت اللغات الأجنبية فوقية وحظوة واحترامًا إزاء لغتنا العربية؟.. ربما نعرف جميعًا الإجابات عن تلك الأسئلة، بيد أن معرفتنا هذه لا تستند إلا على قرائن المعايشة، والشعور، والحدس. ما نحتاجه الآن هو البحث العلمي الذي يستقي مدخلاته من إحصاءات وبيانات رسمية دقيقة.. بحث يستعين بتقنيات مجتمع المعرفة التكنولوجية، وبأساليب التخطيط الاستراتيجي، وبمناهج التخطيط اللغوي (language planning) .. بحث يتخطى توصيف الأزمة وأسبابها إلى وضع حلول واقعية إجرائية ناجعة.

لذلك أدعوكم أيها الإخوة إلى محاولة النظر في قضية اللغة العربية نظرةً جديدة، مختلفة، تستلهم تجارب الآخرين، وتستوعب دروسَ التاريخ (فما اندثار اللغة اللاتينية ببعيد وقد ملأت الأرض ثقافةً وعلما!).. أدعوكم أيها الإخوة إلى وضع استراتيجيات واقعية إجرائية تتناءى عن الشعارات والعاطفة، وتستشعر خطورة الأزمة. فما زال الأمل يحدوني في أن يرى أهلُ الحل والعقد في عالمنا العربي خطورة أزمات الهوية، والثقافة واللغة في أوطاننا العربية، وأن يستشعروا أن مغبات تلك الأزمات وأثرها في حاضرنا ومستقبلنا لا يقل بحال من الأحوال عن أزمات المال والسياسة مغبةً وأثرًا!

والله من وراء القصد.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،